النفائس

مجموعة لطائف وفكاهات

تصدر مرة في الاسبوع

لمنشئها

خليل بيدس

الاحد في ١٣ كانون الاول (و ٣٠ ت ٢) سنة ١٩٠٨

عبير الثناء

لقد فرض علينا واجب الشكر والامتنان ان نجهر بالثناء الطيب عَلَى حضرات الافاضل اصحاب الصحف العربية الغراء لِما تفضلوا به من ذكر هذه المجموعة بالجميل وتقريظهم اياها بما اوحتهُ مكارم اخلاقهم وطيب اعراقهم . كما اننا نسدي غزير الشكر لحضرات وكلائنا الافاضل ولسائر الكتاب والادباء لِما اتحفونا به من رسائل التهنئة والتنشيط التي سطرناها عَلَى لوح القلب وافعمنا بها الصدر . ونعد عموم قرائنا الافاضل ببذل جهدنا وطاقتنا في تحسين هذه المجموعة وتوسيع نطاقها لتصبح ان شاء الله حاوية لكل مستملح من المواضيع الرائقة التي تستعذبها

الاسماع ولاتثقل على الطباع والله المسؤول ان يسدّدنا الى ما بهِ عموم النفع للامة والوطن وهو حسبنا

لحظة السعادة

(تتمة)

وبعد نصف ساعة خرج غلادستون ورفيقاه من قاعة الطعام وانصرفوا لشانهم وكان ذلك في الساعة العاشرة مساءً · وبات شارل تلك الليلة في الفندق وهو يفكر فيما راى وسمع · ولما انبثق الفجر قام فودَّع صديقه وانطلق الى محطة القطار وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة عشرة كان في باريز وبعد يومين وصل الى لندن وكان وصولهُ اليها صباح الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني عام ١٨٩٤ · فلم يبطىء ان واجه صديقه هربرت وتوجها حالاً وعلائم البشر بادية عَلى محياهما الى ادارة رائد المساء حيث اعلم هربرت صاحبها المستر جورج بان صديقه شارل يحمل اليهِ خبراً في غاية الاهمية عن غلادستون · فصفق جورج طرباً وطارت نفسهُ شعاعاً وقال لشارل — ماذا تستطيع ان تخبرنا عن الشيخ العظيم ؟ فاجابهُ شارل — لديَّ خبر مهم جداً عنهُ ولكن ارجو اولاً ان نتفق عَلى الاجرة · قال وكم تطلب لقاءَ ذلك ؟ قال — الفي ليرة استرلينية · فحدَّق اليه جورج ببصره

وقال — اني وما تحب عَلَيَّ شرط ان يكون هذا الخبر مما ينيلنا النجاح ويكون موثوقاً به فتنال ليس هذه القيمة فقط بل وشغلاً في جريدتنا ومرتباً متواصلاً تقبضهُ كل شهر · بيد انك لن تقبض المال المطلوب الاَّ عند تحقيق الخبر وعليك ايضاً ان تقضي بضعة ايام عندنا في غرفة خاصة الى حين اثباته · فوافقهُ شارل على ذلك ثم ابلغهُ بالتفصيل خبر استعفاء غلادستون واكد له ذلك

ونحو الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك النهار صدرت جريدة رائد المساء وفي صدرها البلاغ التالي مطبوعاً باحرف كبيرة (ان كبير وزرائنا المستر غلادستون سيستعفي من رئاسة الوزارة في خلال الاسبوعين القادمين) ولم يكد هذا الخبر ينتشر في احياء لندن حتى تهافت الناس من جميع الطبقات على جريدة الرائد وارسلت الرسائل البرقية للاستعلام والتحقيق وحدثت في المدينة حركة لم يعهد لها مثيل اما صاحب الجريدة فطبع من هذا العدد الصادر في ٣١ كانون الثاني مئات من الوف النسخ وقد بيعت كلها وتواردت الثروة على صاحبها من حيث لا يدري وقد اشتهر في يوم واحد اسم جريدته وطار صيتها · غير ان جماً غفيراً من اصحاب الجرائد الاخر ما عتموا ان بعثوا برسائلهم البرقية الى السير ويست يستنبئونهُ صحة الخبر فوردهم الجواب بالانكار الكلي · فبادروا وكتبَ كلٌّ في جريدته بتاريخ اول شباط عجالة بالاحرف الكبيرة مفادها (ان جريدة رائد المساء قد وقعت واوقعت

غيرها في الحيرة والارتباك لانها نشرت خبرًا مختلقًا لا يمكن ان يكون لهُ نصيب من الصحة لان المستر غلادستون لا يخطر في باله الاستعفاء قط فكيف تؤمل جريدة الرائد ان يُصدَّق مقالها وقد بنته على الوهم والخيال!!! وها ان السير ويستقد انكر هذا الخبر انكارًا باتًا وهو كما لا يخفى علَى الرائد من اخصّ جلساء الشيخ العظيم وكتمة اسراره المخلصين)

اما جريدة الرائد فاصدرت في مساء ذلك النهار عددها مصدرًا بهذه الكلمات (اننا علَى تمام الثقة بصحة ما نشرناه بالامس عن استعفاء كبير الوزراء وسيحقق المستقبل القريب صدق قولنا وسبقنا في نشر الاخبار الصحيحة . واما سائر الجرائد اليومية التي كذَّبت خبرنا فهي على غير هدى من هذا القبيل)

ثم مرّت الايام وجريدة رائد المساء اليومية تختال تيهًا واعجابًا وقد اتسع انتشارها واصبحت معوَّل اكثر القراء . غير ان صاحبها قد اصابهُ في هذه الآونة من مضض الانتظار ما اوقعه في اشد حالات الارتباك والقلق . فكبر عليه الامر وخاف ان ينتقض الخبر الذي نشره واكده فتسقط جريدته من اعين القرآء وتذهب اماله هباءً منثورًا بيدَ ان شارل كان يصبره ويعده بسعادة المستقبل ويؤكد له صحة خبره معتمدًا في ذلك على كلام غلادستون نفسه لا على وهم خطر لهُ وظل المستر جورج بعد ذلك عشرة ايام متوالية تتقاذفهُ فيها

تيارات الخواطر المقلقة والافكار المضطربة وهو على مثل النار من حر الانتظار . ولكنهُ ما لاح فجر اليوم الحادي عشر حتى شاع في اكثر الاندية السياسية ان غلادستون قدَّم استعفاءه لجلالة الملكة فيكتوريا بصورة قطعية وان الملكة لما رأت اصراره عَلَى ذلك وانها لا تستطيع ان تثنيه عن عزمه قبلت استعفاءه . فسرّي حينئذٍ عن صاحب جريدة رائد المساء وطفح قلبه سروراً لانهُ أدرك معظم السعادة التي اكتسبها بطريق هذا الاتفاق الغريب ولم يلبث ان اثبت في جريدته الخبر التالي : لقد تمّ حرفياً ما حققناه منذ عشرة ايام وعارضتنا فيه جميع جرائد لندن . فها ان غلاستون قد استعفى من الوزارة بصورة باتة . وعليه فيحق لجريدتنا ان تفتخر بصدق ما تنشره من الاخبار ويجدر بنا ان نهنىء انفسنا ونهنىء قرآء جريدتنا بهذا الفوز الباهر

وفي ذلك النهار نقد المستر جورج لشارل مبلغ الفي ليرة انكليزية وعينهُ في جملة محرري جريدته بمرتب حسن اما جريدته فقد اكتسبت بين صحف تلك الايام شهرة بعيدة واحرزت مقاماً رفيعاً واصبح عدد قرائها عشرة اضعاف ما كان سابقاً . ولم ينسَ المستر جورج هربرت فرقاه حتى جعلهُ معتمده الخصوصي في جميع اعمال الجريدة لانه كان السبب في هذا النجاح العظيم

وفي مساء ذلك النهار كان عَلَى مائدة انيقة في منزل هربرت

ثلاثة اشخاص تفيض وجوههم غبطة وحبوراً اوهم سوسنة والى يمينها خطيبها شارل والى يسارها شقيقها هربرت يتناولون طعام العشاء ويشكرون هذا الاتفاق الغريب الذي انالهم السعادة من حيث لا يعلمون . وبعد ذلك باسبوع عقد لشارل علَى سوسنة وعاشا سعيدين يتمتعان بصفاء الحياة ولذة الولاء . ولم ينسَ شارل اساءة روبنصن المحتال اليهِ فقام يسعى بمحاكمتهِ واسترجاع حقوقه . فرفع دعواه الى المجلس الاعلَى واناط متابعتها باحد حذاق المحامين . وقد خدمهُ ايضاً السعد في هذه القضية فانهُ لم يمضِ علَى ذلك بضعة ايام حتى صدر الحكم باعادة معمله اليه . واما روبنصن فاستلمه القضاء للاقتصاص منهُ وظل شارل بعد ذلك متمتعاً مع عروسه بالخيرات الكثيرة والغنى الوافر وجميع ضروب الهناء الى ان ادركهما هادم اللذات ومفرّق الجماعات

الاسد والشمس

شاع في احدى المدن الروسية الواقعة علَى سفح جبال اورال ان واحداً من اعيان الايرانيين قد جاءها ونزل في فندق « اليابان » . فلم يحفل الاهلون بهذا الخبر غير ان رئيس البلدية في المدينة المذكورة قام لهُ وقعد واهتمَّ بهِ ايما اهتمام . فصمم على أن لا يدع هذه الفرصة تمر بدون ان يجني منها نفعاً خاصاً . وقد كان من محبي الجاه والمولعين بالرتب

والنياشين وعنده مداليتان من وسام ستانسلاف من الدرجة الثالثة ومدالية جمعية الصليب الاحمر ومدالية جمعية نجاة الغرقى . وكان همهُ ان يزين صدره باكثر من ذلك

فلما علم الان بقدوم هذا الايراني وانهُ مسافر الى باريس ولندن تحقق لديه انه من كبراء قومه وانهُ قد يكون من المقرَّبين الى الشاه . فخطر لهُ ان يسعى بواسطتهِ لاجل الحصول عَلَى وسام (الاسد والشمس) الايراني . وكان يعرف ايضاً ان طريقة الحصول عَلَى هذا الوسام سهلة جداً فلا يلزم لذلك خوض غمار الحروب ولا الاحسان الى المستشفيات والمآوي بل يلزم اغتنام فرصة موافقة . وهذه الفرصة قد وقعت الان فلا يسوغ له ولا بوجه ان يغفلها

ففي اليوم التالي من قدوم الرجل المذكور ارتدى رئيس البلدية احسن ملابسه وتزين بمدالياتهِ وركب عربةً اقلته الى فندق (اليابان) وبعد الاستئذان دخل الى غرفة الايراني فرآه رجلاً يُستدلُّ من هيئتهِ انهُ من العظماء فحياه وقال لي الشرف ياسيدي ان أُعرّفك بنفسي فانا رئيس البلدية وأحد الاشراف العريقين في الحسب . احسب نفسي الان سعيداً لحصولي عَلَى شرف مقابلتك . واني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع السكان أُحيي شخصك الكريم اظهاراً للشعائر المودّة التي تختلج بها صدور الشعب الروسي نحو مملكة ايران صديقتنا وجارتنا

كان رئيس البلدية يتكلم بلغته الروسية والايراني لا يفهم شيئاً من كلماته النفيسة وعباراته الانيقة فالتفت اليه ولفظ جملةً فرنساوية لم يفهم الروسي منها شيئاً . وكان الايراني لا يعرف الا بضع كلمات مثل مرسي و بيان وما شابههما فلما فرغ من سرد امثال هذه الكلمات قال له رئيس البلدية : ان حدود ايران ملتصقة بحدود مملكتنا الواسعة الاطراف فقلوب الامتين ايضاً متحدة اتحاداً شديداً وعليهِ فمن واجباتي ان اظهر لحضرتك ان الاهلين هنا قد فرحوا بقدومك الكريم وانابوني عنهم للقيام بواجبات الاحترام والصداقة

فلم يفهم الايراني شيئاً مما قالهُ الروسي ولكنهُ نهض فتمتم بعض كلمات فرنساوية الله اعلم بمضمونها ثم جلس . وكان الروسي يهز برأسه اشارة الى انهُ فهم الحديث وفي الوقت نفسه كان يجول بخاطره قوله (باية لغة يجب ان احادثهُ فلا انا افهمهُ ولا هو يفهمني واذا استدعيت ترجماناً اخشى ان يفشي السر الذي اروم ان افضي به اليه ويجعلني مضغةً في الافواه . وعليه فالافضل ان ابين له غرضي بدون واسطة .) وفيما هو محتار في امره وقع نظره على خريطة من بين الخرائط التي كانت مزدانة بها جدران الغرفة وقد كتب عليها باحرف كبيرة (مدينة البندقية) فوضع اصبعه علَى لفظة (مدينة) ثم علَى راسهِ يعني بذلك انهُ راس المدينة اي رئيس البلدية

غير ان الايراني لم يفهم شيئاً من هذا التشخيص ولكنه تبسم اشارة

الى انه فهم المقصود

ومضى بعد ذلك نصف ساعة والرجلان جالسان وكلٌّ يغني على ليلاه اخيراً فطن رئيس البلدية لكلمة (بروميناد) اي النزهة فقام واخذ يكثر من الاشارات والحركات براسه ويديه وعينيه ويكرّر كلمة بروميناد حتى اذا رأى في ملامح وجه جليسه موافقة على ذلك أشرق وجهه فرحاً ولم يبطئ ان خرج بهِ من الغرفة حتى اذا وصلا الى ردهة الطعام سألهُ بالاشارات ايضاً ان يشربا قدحاً من الشمبانيا. فبانت عَلَى وجه الايراني علامات السرور ولم يكن الاَّ القليل حتى جلس الاثنان الى احدى الموائد وطفقا يشربان انخاب بعضهما وانخاب المملكتين المتجاورتين والامتين المتحدتين والايراني يشرب ويلتهم بشره. شاكراً هذا السخاء والكرم النادرين. ولما اكتفى الاثنان قاما فاستدعى رئيس البلدية عربةً اقلتهُ وصاحبه الى حديقة الحيوانات. ولما وصلا الى اقفاص الاسود وقف الروسي واشار بيده الى اسدٍ منها ثم الى الشمس ثم الى صدره وكرّر تلك الاشارة مراراً والايراني يتبسم لهُ. وفي المساء ذهبا الى فندق (لندن) حيث تناولا طعام العشاء وحضرا تمثيل احدى الروايات الهزلية (وكل ذلك عَلَى نفقة رئيس البلدية)

وفي ثاني الايام لما كان رئيس البلدية في ادارة الشغل تقدم اليه الكاتب وقال متبسماً: العادة عند الايرانيين يا سيدي الرئيس هي اذا نزل ضيف عظيم الشان عند احد اصحابه فعلى المضيف ان يذبح بيده

لضيفه خروفاً

وما كان اشد دهشة هذا الكاتب لما علم ان رئيسه توجه بعد ساعة الى فندق « اليابان » فدعا الايراني ونحر له خروفاً !!!

وبعد الغداء ركب الاثنان عربة الى حديقة الحيوانات واستعمل الروسي اشارة امس اولاً الى الاسد ثم الى الشمس ثم الى صدره كانهُ يقول له : اريد وسام الاسد والشمس لازين به صدري . ولما حان وقت العشاء ذهب الاثنان فتناولا الطعام في فندق لندن

وفي اليوم التالي انطلق الايراني الى محطة القطار ليسافر من المدينة فتوجه رئيس البلدية معه ليشيعهُ ولما ودعهُ قال لهُ — اتوسل اليك ان تبلغ بلادك تحياتنا وعواطفنا . ولما سار القطار عاد رئيس البلدية وقد ابرقت اسرته وبانت على وجههِ ملامح السرور والاستبشار لتيقنهِ بان الايراني لن ينسى له هذه الايادي البيضاء

*

مضى على ذلك سنة واربعة اشهر وآمال رئيس البلدية معلقة على انتظار الوسام الايراني الى ان تحققت تلك الامال بعد طول الانتظار وجاءه الوسام المذكور في يوم اشتد صقيعهُ وزمهريره فكاد يجنُّ فرحاً وللحال ارتدى اثوابه الرسمية وتزين بهذا الوسام وبغيره من المداليات التي كانت عنده وخرج من منزله يطوف في طرُق المدينة غير مبالٍ بركام الثلج التي كانت مكسوة بها . وكان يسير وهو معجب

بنفسه تيهاً وكبراً كانهُ قد ملك كنوز الدنيا . غير انه تاسف جداً لانهُ لم يصادف احداً في طريقه ليريه وسام الاسد والشمس الذي ناله عن جدارة واهلية . ولبث رئيس البلدية يسير من مكان الى آخر وهو يرجو ان يقابله احد في الطريق فلم يرَ احداً . ولما اقبل المساء عاد الى بيته واعضاؤه ترتجف من شدة البرد . ولما توسد سريره لم ينم لان افكاره كانت منصرفة الى شيء آخر فقد تولدت فيه رغبة اخرى وهي ان يحوز علَى وسام صربي . فكان يتقلب من جانب الى جانب ويقول في نفسه (الآن صار دور الوسام الصربي (طاكوفا) فيجب ان اسعى للحصول عليه ولو قاسيت في سبيل ذلك اشد المشقات والاتعاب)

وظل رئيس البلدية المحترم عرضة للافكار والتصورات حتى بزغ نور النهار

منثورات

البقرة والزنجي

كان لاحد قسوس الالمان في احدى مستعمرات المانيا في افريقيا بقرة حلوب فاستأجر لها القسيس خادماً من زنوج تلك الجهات فكان يحلبها يومياً حسب الطريقة المألوفة في بلاده اي انهُ كان يجلس امامها علَى ركبتيهِ في اثناء الحلب . فاراد القسيس ان يسهل له هذه

الطريقة ولذلك اعطاه كرسياً كالذي يستعملونهُ في بلاد الالمان ليجلس عليه وقت الحلب ولكنهُ لم يعلمهُ طريقة استعماله . وفي صباح اليوم التالي ذهب ليحلب البقرة حسب عادته و بقي القسيس ينتظره في غرفة الطعام ولما طال الانتظار على غير جدوى ارسل فاستدعاه وساله عن سبب عاقته فاجاب: لم اقدر يا سيدي اليوم على حلب البقرة لانها تابى الجلوس على الكرسي الذي اعطيتنيه بالامس وقدبذلت كل جهدي لاجلسها عليهِ فلم افلح فالافضل اذاً ان اعود الى عادتي القديمة لان بقرتك عنيدة كما يظهر ولا تريد ان تفهم ..

سياسة المرأة

سُئل فيلسوف: كيف يجوز في بعض البلدان ان يتولى الملك سياسة المملكة قبل بلوغه سن العشرين ولايجوز لهُ ان يتزوّج قبل تلك السن ؟

فاجاب — لانه اهون عليه ان يسوس مملكة من ان يسوس امرأة ..

خبر مزعج

حصل جفاء بين امرأة وزوجها فاكبت على مطالعة جريدة كانت عَلَى المنضدة و بعد ان قرأت فيها حيناً قالت — يرتئي صاحب هذه الجريدة ان النساء المتزوّجات يعمّرنَ اكثر من العازبات . فقال لها زوجها — سبحان الله . الا تقع عينكِ الاّ عَلَى الاخبار المزعجة؟

﴿ شقآء الملوك ﴾

(تابع لِما قبل)

تلوح علَى وجهه علامات الذكاء والحذق وينبعث من عينيهِ شرر الفطنة. وكان بهيئتهِ واخلاقهِ كثير الشبه بابيه من امه بخلاف اخويه اللذين كانا مثال امهما في الجمال المفرط وعدم المبالاة بشيء من العواطف والاميال. ولم يكن لهما عمل يهتمان به ولا غاية يسعيان في الوصول اليها الاَّ اللهو والتمتع بمسارّ الحياة. اما العلوم والفنون فلم يميلا اليها البتة. وكانا ايضاً متجردين عن محبة الوطن والوالدين وعن كل شيء يستدعي العواطف والحمية

وكان غومفري شديد الولع بالمطالعة والموسيقى وكان يُرى في اكثر الاوقات معتزلاً منفرداً يقضي اوقاته في التأملات والافكار دون ان يرى من نفسه ميلاً الى معاشرة اخويه ومشاركتهما في العابهما وملاهيهما. ولم يلبث ان افرط في حب الانفراد والعزلة بحيث لم يكن يُرى الا نادراً. فقلق عليه ابوه وخشي ان يكون من وراء ذلك عواقب سيئة. ومما زاد في بلبالهِ ان ابنه صار كل يوم تقريباً يركب يخته ويسافر الى الجزائر حيث كان يقضي سحابة النهار ولا يعود منها الاّ المساء فيخلو بمخدعهِ وهو لا يكاد يكلّم احداً من اهل البلاط. وكان الملك يراقبهُ كثيراً ويعجب لهذا التصرّف الغير اللائق بولي عهد

المملكة

ففي مساء النهار الذي سردنا تاريخه — بعد ان تناول الملك طعام العشاء وذهبت الملكة مع وصائفها ونساء القصر الى مخادعها — دخل الملك الى ردهة التدخين وامر السير روجر باستدعاء ولي العهد ولم يكن الا القليل حتى جاء البرنس غومفري فاستقبلهُ ابوه ببشاشة ثم تناول عن المائدة من علبة فضية لفافة فاشعلها وقدم مثلها لابنهِ فرفض هذا اخذها بكل لطف

فنظر الملك الى ابنهِ وقال — اليوم كانت الريح موافقة جداً لاجل نزهتك علَى اليخت · فعسى ان تكون قد قضيت نهارك في الجزائر على اتم انشراح وانس · ولكن ما الذي يعجبك هناك ؟ أمناخ الجزائر ام جمالها الطبيعي ؟

فلم يجب البرنس بشيء

فاتكأ ابوه علَى كرسيه وقال — وانا ايضاً اميل الى المناظر الطبيعية الجميلة · ولكنني لا أختار مكاناً واحداً للنزهة بل اطلب التنقل والتغيير واما انت فتذهب كل يوم الى موضع واحد

وظلَّ البرنس ساكتاً لا ينبس ببنت شفة

فدهش الملك وقال — ما بالك ساكتاً يا غومفري ؟ تعال الى هنا واجلس بازائي فنتحدث بكل صراحة · أفلا تريد ان تثق بي كابٍ وصديق ؟

قال ـ لا أَقدر ان اقول شيئاً

قال — ولماذا

قال ـ لانك لم تحبني قط وقد حرمتني الالفة الوالدية

قال ربما كنت مصيباً في قولك فانا لم احبك ولم احب اخويك كما يحب الاباء ابناءهم وكل ذلك بفضل والدتك وعدم اكتراثها بشيء

قال ولكني لست مذنباً بشيء اذا كانت والدتي على هذه الصورة

قال أصبتَ ولكني احبك كولي عهدي وأُريد ان تكون خليفةً صالحة لي . وما دمتَ ولياً للعهد ارغب ان تكون سائر تصرفاتك مشكورة من الجميع . اما انتَ فبمثل هذا السلوك المتكتم تنفّر الرعية منك وتجعلها ترتاب بك

قال — انا أعرف كل هذا . واعرف ايضاً ان المحبة هي مطلب حيوي جوهري لا يقدر المرء ان يحيا بدونها . وانتَ يا والدي تشعر ولاشك بهذا النقص اكثر من سائر الناس

فذهل الملك من جراءة ابنه وقال فاذاً انتَ منذ زمان آخذ بمراقبتي حتى اطلعت اخيراً على الفراغ الكبير الموجود في حياتي وتريد انت ان تسد هذا الفراغ في حياتك .. اوأنت قد تعلمتَ سبل الهوى في احراش الجزائر وغاباتها . فماذا تعمل هناك كل يوم؟

قال ثق يا والدي باني لا اسيء التصرُّف باوقاتي ولست محتاجاً الان الى الارشاد والنصح لاني لم آتِ اثماً بترددي الى الجزائر

قال — اما انا فيخيل لي انك تكتم عني اموراً لا بدَّ لي من الاطلاع عليها . واعلم بان للامة عليك حقوقاً مقدسة لا يجوز لك ان تزدري بها لانك وليٌّ للعهد ولا يخفى عليك ان واجباتك نحو الامة كثيرة واهمها ان لا تكتم عنها شيئاً بل يجب ان تكون حياتك (كما قال الملك جمس الاول الانكليزي) كانها على مرسح التمثيل والامة تراقب كل حركة تبديها وكل كلمة تتفوه بها . اما اذا كنت تقضي على الدوام اوقاتك في العزلة والانقطاع فقد تزعم الامة انك منشغل عن مهام وظيفتك بالملاهي والخلاعة او بغير ذلك

قال انا لا ارى في سلوكي ما يجوز ان يُسمى لهواً او خلاعة

قال — قد يكون ذلك ولكني اخشى ان تزعم الامة هكذا واسمع الان ما يقولهُ بهذا الصدد الملك جمس المشار اليه: (ليكن كلامك واضحاً وصادقاً لان اللسان هو بشير العقل . فاذا كان كلام الملك مبهماً او غير صادق ولا صريح فهو اذاً يخشى ان يبوح بافكاره . وهذا دليل على ضعف عقله) . وانت يا غومفري مع علمي باذاك صادق وصريح في اقوالك فقد اعتقدتُ الان بانك تخاف التصريح بافكارك . فهل انت تخشى احداً ؟

قال — انا لا اخشى احداً ولكني الان لا يمكنني ان ابوح بافكاري

فقطب الملك جبينهُ وارسل الى ابنه نظراً حاداً وقال — انت ترفض ان توضح لي سبب تردّدك الى الجزائر وعدم مبالاتك بواجباتك العمومية نحو الامة

قال — نعم ارفض ذلك الان لانني لم اجنِ ذنباً نحو الامة بترددي الى الجزائر وانشغافي هناك بالطبيعة والسكينة . وليست هذه الجزائر بعيدة عن العاصمة فالمسافة الى هناك لا اكثر من ساعتين وسكان هذه الجزائر صيّادون يقضون اكثر اوقاتهم بصيد المرجان . فانا اذهب الى هناك لاقرأ وافتكر بالحياة النقية السامية التي ليس لها وجود في العاصمة . اما اذا كنت تريد يا مولاي ان اقضي اكثر اوقاتي في القصر لتراني الامة واراها فساجتهد في تتميم هذا الامر ولئن كان شاقاً عليَّ انما ارجوك ان لا تبكر في زواجي بامراة لا احبها ولا اعرفها لكي تقدمني فقط ضحية لهذا العرش

فاطرق الملك هنيهة ثم رفع راسهُ وقال — انك ياغومفري تتكلم بمنتهى الغرابة والابهام كانك تريد ان تجعل نفسك في درجة لا تؤهلك لان تكون في المقام التي ولدتَ لاجله . فانا الان انصح لك ان تترك حياة الوحدة وتقضي اكثر اوقاتك في البلاط ليمكنك ان تراقب بكل دقة ما يعرض امامك من الامور والاحوال . واذا كنت تكتم في صدرك سراً ما فعليك ان تثق بي وتبوح الي لئلا تغطي اسمك بضبابة سوداء وتجلب لنفسك اِلمحن من حيث لا تدري . وهاءنذا قد اعلمتك بة الامر فاذهب الان الى مخدعك واياك ان تنسى شيئاً مما قلتهُ لك ! !

الفصل الثالث عشر

عزم الملك

ولما انصرف ولي العهد قام الملك فذهب الى ردهة الملكة فألفاها جالسةً في صدر الردهة ومن حولها الوصائف ونساء البلاط وهي بينهن تتألق جمالاً وكمالاً كأنها البدر بين النجوم . وكان في الردهة بضعة اشخاص من الموسيقيين يعزفون و ينشدون بمنتهى الطرب واللذة. فحيّا الملك وجلس بازاء الملكة وهو يقول في نفسه (لو كانت الملكة بغير اخلاقها الحالية لكنتُ في نعيم مقيم)

و بعد بضع دقائق طلب الملك من الملكة ان تقابلهُ على انفراد لانهُ يريد مفاوضتها في امرٍ ذي بال . فلم تبطئ ان نهضت ودخلت الى مخدعها ودخل هو خلفها واغلق الباب ثم قال ـ تفضلي واجلسي لاني أُريد ان افضي اليكِ بامر مهم ولا تلبثين ان تعودي الى نسائك

فجلست ووقف هو امامها وقال — لم اسألكِ شيئاً في كل هذه المدة التي صرفناها معاً من يوم اقتراننا حتى الان . وقد مرّت السنون دون ان تبقي في انفسنا اثراً يذكر . وكل انسان عاقل لا يسعهُ بعض الاحيان الاّ ان يلتفت الى ماضي حياتهِ ليرى نتيجتها واثرها ويمكنه علَى الدوام ان يعرف هل من فائدة من وجوده ؟ او هو كان في كل عمره بلا نفع يُذكر كزَبد البحر الذي لا يلبث ان يضمحلّ او كالرمل الذي على الشاطئ . ولا يخفى عليكِ ان ملايين والوف

الملايين من الناس انما هم على هذه الصورة بدون اقل" فائدة فهم يولدون ويموتون كالبعوض او النمل لا اكثر ولا اقل" . وقليلون هم الافراد الذين يمتازون عما سواهم من الخلائق بعظمة النفس وشجاعة القلب . وان وُجد في كل امة رجل من هذا النوع فان كل الامة تتبعه وهو يقودها الى مراقي المجد والفخر

فنظرت اليه الملكة وهي تتعجب متبسمة ثم قالت — أوَلم يخطر ذلك لك قبل الان . .

قال — أنَّى يُوحى اليَّ بمثل ذلك وانتِ لم ترغبي في حياة الالفة والمحبة . فلو انكِ كلفتني قضاء اي امر كان لكنتُ قضيتهُ على احسن حال . او لو ارسلتني الى أشد الحروب لكنتُ خرجتُ منها ظافراً . ولكني عشت واياكِ واحداً وعشرين عاماً ولم اسمع منكِ امراً انفذه ويكون لائقاً بملك . والان فانا اريد ان امتحن نفسي لعلي استطيع ان ابقي لي في بطون التاريخ اثراً يُذكر . اريد ان اخدم رعيتي خدمة ينبغي لكل ملك ان يتحدَّاها

فلما سمعت الملكة هذا الكلام صبغ وجهها بلون القرمز ثم اصفرَّ بغتة كانها اضطربت وخافت فرفعت يديها الى قلب من ياقوت احمر معلق في عنقها تحف به الاحجار الكريمة وصارت تتشاغل به

فتبسم الملك وقال — ان قلبكِ يشبهُ هذا القلب الياقوتي بلونه وجموده ولكن ليس الان وقت هذا الحديث لانكِ انما جبلتِ على

عَلَى هذه الطبيعة . وتذكرين اني لم اسالكِ امراً في كل هذه السنين التي انقضت ولم اطلب منكِ طاعة او انقياداً بيد اني الان اريد ان اكاشفك امراً واسألك الطاعة التامة والانقياد الكلي

فرفعت الملكة عينيها وقالت — قل ما بدا لك

فأخرج الملك من جيبه رقعة مطوية فناولها اياها وقال — اسألكِ تتميم كل ما هو مكتوب في هذه الرقعة حرفياً فطالعيها بكل تروٍ وان اشكل عليكِ فهم شيءٍ منها فانا اوضحهُ لكِ وانما لا أريد ان اغير فيها شيئاً

فاخذتها الملكة وشرعت تقرأها لوحدها اما الملك فابتعد عنها قليلاً واخذ يخطر في الغرفة ذهاباً واياباً . ثم وقف تجاه قفص ذهبي فيه عصفور صغير من سواجع الطير فصفر لـهُ صفيراً خفيفاً فرفع العصفور راسهُ وصار يزقزق فتبسم الملك وقال — انك ايها الطير الصغير لتشعر بالمحبة والملاطفة . ففيك نفس مسيحية اكثر من سواك ...

وان هو لكذلك اذ شعر بيد وُضعت على كتفه فالتفت فاذا بالملكة امامهُ و بيدها الرقعة . فنظر اليها مستفهماً . فقبَّلتها واخفتها بين اثوابها وهي تقول — اني اقسم لك على القيام بجميع اوامرك المرقومة فيها فثق بي

فتناول الملك يدها وقبلها قائلاً — اشكركِ

(ستأتي البقية)